مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 22 العدد02 2026/06/05
ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ديناميات التحول الديني في بعض الدول الإسلامية: قراءة أنثروبولوجية مقارنة مع إبراز خصوصية السياق الجزائري

The Dynamics of Religious Conversion in Selected Islamic Countries: A Comparative Anthropological Analysis Highlighting the Specificity of the Algerian Context

خيذر جميلة *

جامعة مولودمعمري تيزي وزو

djamila.kheder@ummto.dz

تاريخ الاستلام:2026/03/01 تاريخ القبول: 2026/05/17

ملخص:

سعت هذه الدراسة إلى بحث وفهم ديناميات التحول الديني وأسبابه في دول إسلامية مختارة، وذلك من خلال مراجعة تحليلية ومقارنة لمجموعة من البحوث السوسيولوجية والأنثروبولوجية والدراسات العيادية النفيسة التي رصدت الظاهرة في بيئات مختلفة، لاسيما في الأرخبيل الماليزي والمشرق والمغرب العربي، مع التركيز بصفة خاصة على تفاصيل الحالة الجزائرية. وتعتمد الدراسة على استخدام المنهج المقارن القائم على آلية تحليل المضمون للمادة العلمية المتوفرة. وتوضح النتائج المستخلصة أن تجربة التحول الديني تعد مساراً متداخل الأبعاد، تلتقي فيه الدوافع النفسية الفردية مع التغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي تختلف من مجتمع إلى آخر. وتظهر الدراسة أن الرغبة في تغيير المعتقد ترتبط أساساً برحلة البحث الشخصي عن الطمأنينة وبناء هوية جديدة، لاسيما مع التغيرات التي تشهدها المجتمعات الحديثة كظهور الاستقلالية الفردية في الاختيار، وتراجع التأثير التقليدي للمؤسسات الدينية الرسمية، والوعي بالحقوق الشخصية، إلى جانب الأزمات النفسية وتجارب القلق التي يمر بها الفرد في محيطه. كما تبرز الدراسة الخصوصية الكبيرة للسياق الجزائري؛ حيث يتأثر الجانب النفسي والعيادي للمتحولين بالذاكرة التاريخية ومخلفات الفترة الاستعمارية، بالإضافة إلى الصدمات الاجتماعية الناتجة عن مرحلة العشرية السوداء. وتكشف القراءة الأنثروبولوجية

* المؤلف المرسل: خيذر جميلة، الايميل: djamila.kheder@ummto.dz

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

كيف يلجأ هؤلاء الأفراد إلى استدعاء السرديات التاريخية القديمة لشمال إفريقيا كغطاء رمزي يبررون به خياراتهم العقائدية الجديدة ويخففون من خلاله حدة الصدام أو القطيعة مع مجتمعهم المحافظ. وتخلص الدراسة في النهاية إلى أن فهم هذه الظاهرة يستوجب تبني نظرة تكاملية شاملة تجمع بين الجانب النفسي والبيئة الثقافية المحيطة بالفرد.

الكلمات الدالة: التحول الديني، دول إسلامية مختارة، قراءة أنثروبولوجية، المنهج المقارن، السياق الجزائري.

Abstract:

This study seeks to explore and understand the dynamics and causes of religious conversion in selected Islamic countries. It presents an analytical and comparative review of a range of sociological, anthropological, and clinical studies that have examined this phenomenon across diverse environments, particularly in the Malay Archipelago, the Mashreq, and the Maghreb, with a special emphasis on the details of the Algerian case. Methodologically, the study relies on the comparative approach utilizing content analysis of the available scholarly literature. The findings reveal that the experience of religious conversion is a multidimensional process wherein individual psychological motives intersect with social, cultural, and political changes that vary from one society to another. The study shows that the desire to change one's belief is primarily linked to a personal search for inner peace and the construction of a new identity, especially amid transformations in modern societies—such as the emergence of individual autonomy in choice, the decline of the traditional influence of official religious institutions, and an awareness of personal rights—alongside psychological crises and experiences of anxiety that individuals undergo in their environment. Furthermore, the study highlights the profound specificity of the Algerian context, where the psychological and clinical aspects of converts are shaped by historical memory and the legacy of the colonial period, in addition to the social traumas resulting from the "Black Decade." The anthropological analysis reveals how these individuals resort to invoking ancient historical narratives of North Africa as a symbolic cover to justify their new doctrinal choices, thereby mitigating the intensity of clash or rupture with their conservative society. Ultimately, the study concludes that understanding this phenomenon requires adopting a comprehensive, integrative perspective that combines the psychological aspect with the surrounding cultural environment of the individual.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102
Keywords : Religious Conversion, Selected Islamic Countries, Anthropological Reading, Comparative Approach, Algerian Context.

مقدمة:

يشكّل التحول الديني إحدى القضايا الحساسة في المجتمعات الإسلامية، نظرًا لارتباطه الوثيق ببنية الهوية الفردية والجماعية، وبالمكانة المركزية التي يحتلها الدين في تشكيل الوعي الاجتماعي .ورغم حضور هذه الظاهرة في النقاشات العامة وبعض الدراسات المعاصرة، فإنها ما تزال موضوعًا يتسم بالحساسية والتعقيد، خاصة في المجتمعات التي يُنظر فيها إلى الانتماء الديني بوصفه عنصرًا أساسيًا في تحديد موقع الفرد داخل الجماعة. ويعكس هذا الحذر في تناول الموضوع طبيعة الإشكالات التي يثيرها، لاسيما وأن التحول من دين إلى آخر يندرج ضمن ما يمكن توصيفه بالطبوهات الثيولوجية، أي القضايا الدينية التي تُعد شديدة الحساسية لارتباطها الوثيق بالهوية والانتماء، الأمر الذي يجعل الظاهرة تتجاوز بعدها الفردي لتأخذ أبعادًا اجتماعية ورمزية أوسع تمسّ علاقة الفرد بمنظومة القيم والمعايير التي تؤطر وجوده داخل الجماعة.

وقد رافقت التحولات الاقتصادية والتقنية، عبر التاريخ، تحولات دينية موازية؛ كما أخذت حالات التحول من الإسلام إلى ديانات أخرى، لاسيما المسيحية، حضورًا ملحوظًا في بعض السياقات المعاصرة، وأصبحت أكثر تداولًا في النقاشات الاجتماعية والدراسات الحديثة .ويعكس ذلك جملة من التغيرات التي يشهدها البناء الاجتماعي في ظل التحولات المعاصرة، وما يصاحبها من إعادة نظر في أنماط التفكير والانتماء. ولا يحدث هذا التحول بصورة فجائية أو بدافع رغبة عابرة، بل يمثل مسارًا معقدًا يمر به الفرد نتيجة تفاعلات متعددة، فيتخذ قرارًا يؤثر في مسار حياته وفي علاقاته الاجتماعية وموقعه داخل النسق الاجتماعي.

ويشير بلحاج منير (2012، ص24) إلى أن الخروج من الدين يُنظر إليه في بعض السياقات باعتباره خطرًا يهدد الدين وأهله، بل ويُشبَّه أحيانًا بالخيانة العظمى. ويعكس هذا الطرح طبيعة التمثلات الاجتماعية المرتبطة بالتحول الديني، والتي تتجاوز اعتباره خيارًا فرديًا لتجعله مسألة تمسّ التوازن الرمزي للجماعة.

وتجدر الإشارة إلى أن التحول الديني لا يمكن أن يكون نتاج سبب وحيد، **إيجابيًا كان أو سلبيًا**، وبالتالي لا يمكن أن تكون دلالاته واحدة (هاني نسيرة، 2009). بل هو ظاهرة مركّبة تتداخل فيها عوامل

نفسية واجتماعية وثقافية، إلى جانب عوامل اقتصادية وسياسية، تختلف باختلاف السياقات الاجتماعية والتاريخية التي يعيش فيها الأفراد، وتعكس في جوهرها تفاعلًا معقدًا بين البنية الاجتماعية وتجربة الفرد الذاتية.

وتجدر الإشارة إلى أن التحول الديني لا يمكن أن يكون نتاج سبب وحيد، إيجابيًا كان أو سلبيًا، وبالتالي لا يمكن أن تكون دلالاته واحدة (هاني نسيرة، 2009) .بل هو ظاهرة مركّبة تتداخل فيها عوامل نفسية واجتماعية وثقافية، إلى جانب عوامل اقتصادية وسياسية، تختلف باختلاف السياقات الاجتماعية والتاريخية التي يعيش فيها الأفراد، وتعكس في جوهرها تفاعلًا معقدًا بين البنية الاجتماعية وتجربة الفرد الذاتية .

ومن هذا المنطلق، تتجاوز ظاهرة التحول الديني في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وفي مقدمتها المجتمع الجزائري، كونها مجرد عارض نفسي فردي أو نتاج لأزمات سيكولوجية عابرة، لتتشكل بوصفها دينامية سوسيو–أنثروبولوجية معقدة ترتبط بإعادة بناء الهوية، وإعادة تفاوض الفرد مع رأسماله الرمزي والثقافي الموروث.

وبناءً عليه، تتحدد إشكالية هذه الدراسة في التساؤلات المحورية التالية:

- **أولاً** :كيف يسهم السياق الثقافي والذاكرة التاريخية (بما فيها الإرث الاستعماري ومخلفات الأزمات السياسية الكبرى كالعشرية السوداء في الجزائر) في تشكيل التصورات والخيارات الدينية الجديدة لدى المتحولين؟
- **ثانياً**: ما هي الوسائل والحجج (كالعاطفة الدينية واستدعاء التاريخ القديم للمنطقة) التي يستخدمها المتحولون لتبرير خيارهم العقائدي الجديد والدفاع عنه أمام مجتمعهم المحافظ؟
- **ثالثاً** :وإلى أي مدى يمثل هذا التحول خروجاً عن الدين الموروث بالولادة والبيئة، نحو نمط جديد يعتمد على الاختيار الشخصي للفرد؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي المقارن عبر آلية تحليل المضمون للأدبيات السوسيولوجية والأنثروبولوجية والعيادية ذات الصلة، مسلّطة الضوء على سياقات الأرخبيل الماليزي والمشرق والمغرب العربيين، مع تركيز رصين على خصوصية الحالة الجزائرية.

1 –المقاربات السوسيو–أنثروبولوجية المعاصرة لظاهرة التحول الديني:

يشير كل من غريمس وفرحات عماري (2014) إلى أن التحول الديني يمثل ظاهرة معقدة وقضية حساسة، تتداخل فيها أسباب متعددة وتتباين أبعادها، مما يعكس الطبيعة المركبة لهذه الظاهرة.

وفي هذا السياق، يشير رشيد جرموني (2020) إلى أن التحول الديني في السابق كان يُفهم أساسًا على أنه مجرد انتقال من ديانة إلى أخرى أو من ثقافة إلى أخرى، غير أن هذا الفهم لم يعد كافيًا لتفسير هذه الظاهرة في السياق المعاصر. إذ أصبح التحول الديني اليوم يرتبط باكتساب هوية دينية جديدة تعيد تشكيل موقع الفرد داخل محيطه الاجتماعي والثقافي. ولا يقتصر هذا التحول على تغيير في المعتقد فحسب، بل يمتد ليشمل إعادة بناء علاقة الفرد بمنظومته الثقافية والاجتماعية والسياسية، بل وحتى إعادة النظر في مساره الشخصي داخل مجتمعه الأصلي. ويعكس هذا التحول تحولات أعمق يشهدها البناء الاجتماعي المعاصر، حيث أصبح الفرد أكثر قدرة على إعادة تشكيل هويته الدينية ومسار انتمائه، في ظل التحولات الاجتماعية والثقافية التي يعرفها العالم اليوم .

ومن منظور سوسيولوجي أوسع، يؤكد أوليفييه روا (2012، ص36)، في كتابه "الجهل المقدس: زمن دين بلا ثقافة"، أن التحولات الدينية كانت موجودة على الدوام، لكنها كانت في الماضي ذات طابع جماعي، وترتبط غالبًا بسياقات سياسية معينة مثل الفتوحات والإرساليات الدينية، في حين أصبحت في السياق المعاصر قائمة أساسًا على اختيار فردي، مما يعكس تحولات عميقة في علاقة الفرد بالدين والانتماء الديني.

وفي هذا الاطار يرى أوليفييه روا (2012، ص46–47) أن مسألة الارتداد عن الإسلام تبدو في المناخ الراهن الأكثر قابلية لإنتاج الأزمات والتوترات، غير أنها ليست سوى مظهر من مظاهر الطفرة العامة للديني المعاصر. فالقضية لا تتعلق فقط بإشكالية حقوقية، بل تعكس انفصالًا متزايدًا بين الدين والثقافة، إذ لم يعد هناك اتصال تلقائي بين ثقافة ودين، وغدت المعالم الدينية طليقة وعائمة. ومع انتشار حالات التحول وتغيير الدين في العالم المعاصر، يُتوقع أن تتزايد التوترات إلى أن يستقر في الأذهان الفصل بين الأديان والثقافات، بما يعني أن الأديان ستتحرك خارج الأطر الثقافية التقليدية التي كانت تؤطرها.

ويتقاطع هذا التحليل مع ما أورده حيدر جواد السهلاني(2020)، في عرضه لأفكار أوليفييه روا، أن التحول الديني يعكس انفصالًا متزايدًا بين الدين والثقافة، حيث لم يعد التحول يعني الانتقال من ثقافة إلى أخرى، بل أصبح يدل على اختيار ديني بالدرجة الأولى، إذ يبحث المتحول عن دين أكثر من بحثه عن

ثقافة. ويضيف أن هذا الوضع يجعل المتحول في كثير من الأحيان محل شك، إذ يُنظر إليه بعين الريبة من قبل جماعته الدينية الأصلية، كما قد يُقابل بالحذر من قبل الجماعة الجديدة، وهو ما يعكس هشاشة موقعه داخل محيطه الاجتماعي.

ومن جهة أخرى، يؤكد لويس رامبو أن التحول الديني لا يمثل مجرد تغيير مفاجئ في المعتقد، بل هو عملية معقدة وممتدة تمر بعدة مراحل، وتتأثر بالسياق الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد، وبالتجارب الشخصية التي قد تتخذ شكل أزمة نفسية أو اجتماعية أو دينية تدفعه إلى البحث عن معنى جديد. ويرى رامبو أن الفرد لا يكون مجرد متلقٍ سلبي، بل يمثل فاعلًا نشطًا في عملية تحوله، حيث يسعى إلى إعادة بناء منظومته الاعتقادية من خلال التفاعل مع محيطه الاجتماعي ومع جماعة دينية جديدة (Rambo, 1993, p. 44).

وفي ضوء هذه المقاربات النظرية، يتضح أن التحول الديني في السياق المعاصر يمثل ظاهرة متعددة المستويات، تتداخل فيها العوامل البنيوية المرتبطة بتحولات العلاقة بين الدين والثقافة، والعوامل الفردية المرتبطة بمسار إعادة تشكيل الهوية، مما يفرض ضرورة تحليل هذه الظاهرة ضمن إطار سوسيولوجي شامل يتجاوز التفسيرات الاختزالية.

2 –ديناميات التحول الديني في الأرخبيل الماليزي: الأبعاد والعوامل

تناولت مجموعة من الدراسات السوسيولوجية والنفسية ظاهرة التحول الديني في الأرخبيل الماليزي، باعتباره سياقًا غنيًا يسمح بفهم العوامل المختلفة التي تدفع الأفراد إلى تغيير معتقدهم الديني. وقد أظهرت نتائج هذه الدراسات أن التحول الديني لا يرتبط بسبب واحد، بل هو نتيجة تفاعل معقد بين عوامل نفسية، واجتماعية، وفكرية، تتشكل في إطار التجارب الشخصية للفرد وعلاقاته الاجتماعية وتمثلاته الفكرية والدينية. وتبرز هذه العوامل من خلال تحليل الخبرات التي مر بها الأفراد قبل وأثناء عملية التحول، والتي تعكس في مجملها حالة من البحث عن المعنى وإعادة بناء الهوية الدينية.

2–1 الأبعاد النفسية: الأزمات السيكولوجية وسياقاتها الاجتماعية:

حظيت العوامل النفسية باهتمام واسع في الدراسات التي تناولت ظاهرة التحول الديني، حيث يرى العديد من الباحثين أن التجربة النفسية للفرد تمثل عنصرًا محوريًا في فهم مسار التحول. وفي هذا السياق،

يشير عدد من علماء النفس الديني إلى أن التحول غالبًا ما يرتبط بمرحلة من التوتر أو الأزمة النفسية التي تدفع الفرد إلى إعادة النظر في منظومته الاعتقادية والبحث عن معنى جديد لحياته.

وفي هذا الإطار، كشفت دراسة "ظاهرة تغيير الديانة في الأرخبيل الماليزي: الخبرات النفسية والاجتماعية" أن العديد من المتحولين مرّوا بتجارب نفسية اتسمت بوجود حالات من القلق، والاكتئاب، والصراع الداخلي، والشعور بعدم الرضا، وهو ما يتوافق مع ما ذهبت إليه نظرية الأزمة النفسية التي طورها كل من إدوين ستاربوك (1900) ووليام جيمس (1902)، والتي ترى أن التحول الديني غالبًا ما يسبق أو يتزامن مع أزمة نفسية تدفع الفرد إلى البحث عن بدائل دينية توفر له التوازن النفسي والمعنوي.

غير أن نتائج الدراسة أظهرت أيضًا أن هذه الأزمات النفسية لم تكن دائمًا العامل المباشر في اتخاذ قرار التحول، بل ارتبطت في كثير من الحالات بعوامل أخرى، مثل المشكلات العاطفية أو التساؤلات الفكرية التي أسهمت في إضعاف العلاقة السابقة للفرد بدينه، ودفعت به إلى إعادة تقييم معتقداته الدينية.

كما أشارت الدراسة إلى أن بعض هذه الأزمات النفسية ارتبطت بما وصفته بـ"الفوضى الفكرية"، والتي أثرت في تمثلات الأفراد للدين، وأسهمت في حدوث حالة من الاضطراب على مستوى الهوية الدينية، مما دفع بعضهم إلى البحث عن بدائل دينية جديدة توفر لهم الإحساس بالمعنى والاستقرار النفسي. وقد لعبت وسائل الإعلام دورًا مهمًا في تشكيل هذه التمثلات، من خلال تقديم صور وتأويلات مختلفة للدين، أثرت في إدراك الأفراد لعلاقتهم بمنظومتهم الدينية (أملينا بنت أحمد تاج الدين وآخرون، 2019، ص 81-82).

وفي ضوء ما سبق، يتبين أن العامل النفسي يمثل بعدًا أساسيًا في تفسير ظاهرة التحول الديني، غير أنه لا يعمل بمعزل عن بقية العوامل، بل يتداخل ويتفاعل مع العوامل الاجتماعية والفكرية في إطار تجربة معقدة. ويعكس هذا التفاعل طبيعة التحول الديني بوصفه مسارًا متعدد الأبعاد، يتشكل من خلال العلاقة المتبادلة بين التجربة النفسية للفرد والسياق الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه، بما يسهم في إعادة تشكيل تمثلاته الدينية وهويته الاعتقادية.

2-2 العوامل الاجتماعية: تفكك الروابط التقليدية والبحث عن الجماعات البديلة

تشير نتائج دراسة أملينا بنت أحمد تاج الدين وآخرون (2019، ص83-85) إلى أن العوامل الاجتماعية تمثل عنصرًا مهمًا في تفسير التحول الديني، حيث تؤثر العلاقات الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد في تشكيل قناعاته الدينية. وقد ارتبطت بعض حالات التحول بتجارب اجتماعية سلبية، مثل التوتر

في العلاقات الأسرية أو التأثر بالأصدقاء، كما أسهمت وسائل الإعلام في إعادة تشكيل تمثلات الأفراد للدين، مما دفع بعضهم إلى إعادة النظر في انتمائهم الديني.

كما تكشف هذه المعطيات أن التحول الديني لا يحدث بمعزل عن السياق الاجتماعي، بل يتشكل داخل شبكة من التفاعلات الاجتماعية التي قد تعيد صياغة قناعات الفرد الدينية بمرور الوقت. فضعف الروابط الاجتماعية التقليدية أو الشعور بعدم الانتماء داخل الوسط الأسري أو المجتمعي قد يدفع بعض الأفراد إلى البحث عن أطر رمزية أو جماعات بديلة تمنحهم الإحساس بالمعنى والانتماء. وفي هذا السياق، يمكن النظر إلى التحول الديني بوصفه أيضًا تعبيرًا عن مسار إعادة بناء الهوية في ظل التحولات الاجتماعية والثقافية التي تعرفها المجتمعات المعاصرة.

2-3 المحددات الفكرية والمعرفية في مسار التحول الديني:

إلى جانب العوامل النفسية والاجتماعية، تمثل العوامل الفكرية أحد الأبعاد المهمة في تفسير ظاهرة التحول الديني، حيث يرتبط هذا التحول في كثير من الحالات بعملية إعادة تقييم معرفي وعقائدي للمعتقدات الدينية السابقة. وفي هذا السياق، تشير نتائج دراسة أملينا بنت أحمد تاج الدين وآخرون إلى أن التحول الديني يرتبط بالتجارب الفكرية والدينية التي يمر بها الأفراد، والتي تسهم في تشكيل قناعات جديدة تدفعهم إلى تبني معتقد ديني مختلف.

وقد أظهرت الدراسة أن بعض المتحولين مروا بحالة من عدم الرضا العقائدي، ارتبطت بتساؤلات فكرية حول طبيعة المعتقدات الدينية ومضامينها، وهو ما دفعهم إلى البحث عن بدائل دينية أو فكرية تتوافق مع قناعاتهم الجديدة. كما ارتبطت هذه العملية بإعادة تفسير التجربة الدينية من منظور شخصي، حيث سعى الأفراد إلى إيجاد معنى ديني أو فكري يتناسب مع تجاربهم الذاتية وتصوراتهم عن الدين.

كما كشفت الدراسة أن بعض المتحولين ربطوا قرارهم بتبني معتقد جديد باعتبارات فكرية ومعرفية، حيث تأثروا بتصورات دينية بديلة، أو بتفسيرات فكرية جديدة للدين، أو برؤى علمية وفلسفية أسهمت في إعادة تشكيل مواقفهم الدينية. ويعكس هذا المسار أن التحول الديني لا يقتصر على كونه استجابة لعوامل نفسية أو اجتماعية فقط، بل يرتبط أيضًا بعملية مراجعة فكرية ومعرفية تسهم في إعادة بناء القناعات الدينية للفرد (أملينا بنت أحمد تاج الدين وآخرون، 2019، ص85–86).

وفي ضوء ما كشفت عنه الدراسات التي تناولت ظاهرة التحول الديني في الأرخبيل الماليزي من تعدد العوامل النفسية والاجتماعية والفكرية المفسرة لهذه الظاهرة، يتضح أن التحول الديني يمثل ظاهرة معقدة لا ترتبط

بسياق اجتماعي واحد، بل تتجلى في سياقات ثقافية واجتماعية مختلفة. ومن هذا المنطلق، يكتسي تحليل هذه الظاهرة في المنطقة العربية أهمية خاصة، نظرًا لخصوصية السياق الاجتماعي والثقافي والديني الذي يميز مجتمعاتها. وعليه، تسعى هذه الدراسة إلى عرض بعض النماذج التي تناولت أسباب التحول الديني في عدد من بلدان المشرق والمغرب العربي، بهدف إبراز أوجه التشابه والاختلاف في العوامل المفسرة لهذه الظاهرة.

3 –المقاربات السوسيولوجية للتحول الديني في الفضاء العربي: نماذج من المشرق والمغرب:

يشير هاني نسيرة، في مقاله التعريفي بكتابه «المتحولون دينيًا: دراسة في ظاهرة تغيير الديانة والمذهب»، إلى أن مسألة التحول الديني لم تحظ بدراسة عربية معمقة رغم حساسيتها وضجيجها المستمر. ويؤكد أن التحول الديني لا يمكن أن يكون نتاج سبب وحيد، حميدًا كان أو خبيثًا، كما لا يمكن أن تكون نتيجته ودلالته واحدة، بل تختلف باختلاف السياقات والحالات. وقد حرص، بحسب عرضه، على مقاربة الظاهرة قراءة موضوعية وعلمية، بعيدًا عن اللغة السجالية ومنطق الانكسار أو الانتصار الذي يحيط بها (نسيرة، 2009).

وإذا كان نسيرة يؤكد على ضرورة تجاوز التفسير الأحادي للظاهرة والدعوة إلى قراءتها قراءة موضوعية متعددة السياقات، فإن بعض الباحثين في المنطقة العربية سعوا إلى تفكيك هذه الظاهرة بصورة أكثر تحديدًا، من خلال تحليل أبعادها النفسية والاجتماعية والثقافية.

وفي هذا الإطار التحليلي، يُرجع عياد أبلال ظاهرة التحول الديني في العالم العربي إلى جملة من العوامل النفسية والاجتماعية والثقافية والدينية المتداخلة. فمن بين أبرز الأسباب التي يسجلها: أزمة الطفولة والمراهقة وتضرر صورة الأب والأسرة، وفشل مؤسسات التنشئة الاجتماعية والدينية في الاستجابة لتحولات الأجيال الجديدة ومتطلباتها. كما يشير إلى هيمنة عدد من التيارات الفكرية المتنافسة داخل النسق الثقافي العربي، من قبيل الفكر الوهابي، والسلفي الجهادي، والشيعي، والعلماني، وما ينتج عن ذلك من صراعات مرجعية تؤثر في الاستقرار العقدي للأفراد. ويؤكد كذلك على انفصال بعض أشكال التدين السني عن بعدها الروحي وتحولها إلى ممارسات شكلية، إلى جانب أزمة العقل الفقهي السني وعجز الخطاب الديني عن معالجة قضايا معاصرة، مثل حرية المعتقد ووضعية المرأة. ويضيف أن بروز الإسلام السياسي والجماعات الدينية العنيفة، وتأثير النموذج الغربي الحداثي، إضافة إلى الإقبال المتزايد للشباب على الإنترنت في ظل غياب تأطير فكري محصّن، كلها عوامل تُسهم في تغذية مسارات التحول الديني (بن همور، 2023، ص. 561–562)

وفي السياق المغربي، تقدم دراسة محمد قنفودي (2021) قراءة سوسيولوجية معمقة لظاهرة التحول الديني، حيث يرى أن هذه الظاهرة تمثل في جوهرها مسارًا لإعادة بناء الذات والهوية الشخصية. ومن خلال تتبع مسارات المتحولين، يشير قنفودي إلى أن التحول يرتبط بعدة محددات أساسية، من بينها الشعور بعدم الرضا تجاه الأدوار التي تمارسها المؤسسات الدينية الرسمية، خاصة في ما يتعلق بالاستجابة لتطلعات الشباب الروحية والفكرية. كما يبرز مرحلة سابقة على التحول تتسم بالقلق الفكري والشك في المسلمات الدينية، إلى جانب دور الشبكات الاجتماعية — سواء الواقعية أو الافتراضية — في احتضان الأفراد وتوجيههم نحو بدائل دينية جديدة. ويخلص الباحث إلى أن التحول الديني يرتبط بالبحث عن معنى بديل يسهم في تجاوز حالة الاغتراب الثقافي والاجتماعي.

في سياق تحليل أسباب التحول الديني في المنطقة العربية، يقدّم عبد الله عنتار نموذجًا تفسيرياً للحالة المغربية ينطلق من خلفية سوسيولوجية ذات امتداد فيبري، حيث يُفهم التحول الديني باعتباره فعلاً اجتماعياً مؤسسًا على دوافع ذاتية وقيم وتمثلات يعيد الفرد من خلالها بناء اختياراته الدينية. فبدل اختزال التحول من الإسلام إلى المسيحية أو إلى اللادينية في كونه استجابة ظرفية لأزمة شخصية أو اجتماعية، ينظر إليه بوصفه مسارًا تأمليًا يقوم على إعادة مساءلة القناعات الموروثة وإعادة تشكيل المرجعية الفكرية. ومن هذا المنظور، تتجلى أسباب التحول في بحث الفرد عن انسجام داخلي بين معتقداته وتمثله لذاته في عالم يهيمن عليه انتماء ديني جماعي قوي، مما يجعل التحول تعبيرًا عن إعادة بناء الهوية الفردية في مواجهة بنية اجتماعية وقانونية محافظة (عنتار، 2022، ص 55–58).

وتُظهر المقارنة بين هذه المقاربات اختلافًا في طريقة تناول ظاهرة التحول الديني؛ فنسيرة يلفت إلى تعدد أسباب الظاهرة واختلاف دلالاتها باختلاف السياقات، بينما يركز أبلال على الأزمات الاجتماعية والثقافية التي يعيشها الواقع الديني العربي. أما قنفودي فينظر إلى التحول باعتباره مسارًا فرديًا للبحث عن معنى وهوية جديدة، في حين يراه عنتار فعلًا اجتماعيًا يعيد من خلاله الفرد بناء قناعاته في ظل ضغوط اجتماعية قائمة. ويبين هذا التنوع في التحليلات أن فهم التحول الديني في المنطقة العربية يقتضي الجمع بين العوامل الفردية والظروف البنيوية المحيطة بها.

في ضوء هذا التنوع في المقاربات، يتضح أن التحول الديني في المنطقة العربية لا يمكن تفسيره من خلال سبب واحد أو منظور أحادي، بل هو نتيجة تفاعل معقد بين تحولات بنيوية وثقافية مست علاقة الفرد بالمؤسسات الدينية، وبين دوافع ذاتية مرتبطة بالبحث عن معنى وهوية وانسجام داخلي. ومن ثمّ، فإن

فهم هذه الظاهرة يقتضي مقاربة سياقية تراعي خصوصيات المجتمعات العربية واختلاف مساراتها التاريخية والاجتماعية.

4-خصوصية الحالة الجزائرية: تقاطع الذاكرة التاريخية والآليات الرمزية في إنتاج المتخيّل الديني البديل:

في السياق الجزائري، تكتسي ظاهرة التحول الديني خصوصية مرتبطة بالتاريخ الاستعماري، وبالتحولات السياسية والاجتماعية التي عرفها المجتمع خلال العقود الأخيرة، خاصة مرحلة العشرية السوداء وما تلاها. وقد تناول عدد من الباحثين هذه الظاهرة من زوايا متعددة، تراوحت بين المقاربة التاريخية والسوسيولوجية والعيادية، في محاولة لفهم العوامل الكامنة وراء بروز حالات التحول الديني في الجزائر.

في كتابه *نحن والمسيحية في العالم العربي وفي العالم*، تناول عز الدين عناية (2010) ظاهرة التحول إلى المسيحية في الجزائر ضمن سياقها التاريخي، حيث ربط بين النشاط التبشيري الذي رافق المرحلة الاستعمارية منذ سنة 1830، وبين ما يسميه بالموجة الجديدة التي برزت خلال العقود الأخيرة. ويرى عناية أن هذه الظاهرة لا يمكن فهمها بمعزل عن التحولات الاجتماعية والسياسية والدينية التي عرفتها الجزائر، خاصة في مرحلة ما بعد العشرية السوداء. ويُرجع الباحث بروز ما يُعرف بالأنجلة الجديدة إلى حالة أزمة متعددة الأبعاد مست المجتمع الجزائري، حيث تداخلت العوامل الاجتماعية والسياسية والدينية، مما خلق مناخًا ساهم في استقطاب فئات من الشباب، لا سيما أولئك الذين يعيشون أوضاعًا من الهامشية والتهميش الاجتماعي، ويبحثون عن آفاق جديدة للمعنى والاستقرار. ويُفهم هذا التحليل ضمن مقاربة تربط التحول بسياقات أزمة جماعية أوسع . وفي هذا الإطار، يبرز التوتر النفسي–الاجتماعي بوصفه عنصرًا مفسرًا في فهم بعض مسارات التحول الديني، خاصة في سياق التحولات العميقة التي عرفها المجتمع الجزائري خلال العقود الأخيرة (عناية، 2010، ص 60–64).

ولا تقتصر تفسيرات هذه الظاهرة على الأبعاد السوسيوسياسية الكبرى فحسب، بل تمتد لتشمل أبعادًا نفسية دقيقة. ففي الدراسة العيادية التي أنجزتها سعداوي ومخلوف بن تونس، والتي اعتمدت على اختبار الروشاخ، تبيّن أن التحول الديني لدى الحالات المدروسة ارتبط بحاجات نفسية تتعلق بالبحث عن الأمن والطمأنينة، خاصة لدى الأفراد الذين يعانون من قلق وصراعات داخلية وتجارب حياتية قاسية. وقد أظهرت النتائج وجود مؤشرات هشاشة نفسية وصعوبة في التكيف مع الضغوط، مما جعل الانتماء الديني الجديد يشكل إطارًا لإعادة تنظيم التوازن الداخلي. (سعداوي ومخلوف بن تونس، 2022، ص 805–812)

وبذلك يمكن اعتبار العامل النفسي أحد الأبعاد المفسرة للتحول الديني في السياق الجزائري، في تفاعل مستمر مع العوامل الاجتماعية والثقافية الأوسع.

وإذا كان التحول يظهر كآلية لمواجهة الصدمات، فإن تعميق التحليل العيادي لدى سعداوي ومخلوف بن تونس في دراستهما الموسومة بـ «التحول الديني وسمات الشخصية – دراسة حالة على ضوء اختبار منيسوتا للشخصية متعددة الأوجه»، يكشف أن فعل التحول الديني لا يمثل مجرد تغيير في المعتقد، بل ينطوي على عملية إعادة تنظيم للهوية تؤدي إلى إعادة تشكيل نسق التفكير والسلوك. وقد أظهرت النتائج العيادية، في الحالات المدروسة، وجود سمات شخصية تتسم بالوهن النفسي(Psychasthénie) ، بما يحمله من قلق دائم واجترار وشكوك وصعوبة في اتخاذ القرار. كما كشفت نتائج اختبار MMPI-2 عن سمات ذات طابع فصامي وهوس خفيف، وهي مؤشرات على هشاشة التنظيم الانفعالي وتذبذب البنية النفسية). وبذلك يمكن إدراج هذه المعطيات ضمن العوامل النفسية المفسِّرة للتحول الديني في السياق الجزائري، دون اختزال الظاهرة في بعدها الفردي أو تعميم هذه السمات على جميع الحالات (سعداوي ومخلوف بن تونس، 2022، ص 759؛ 779–780).

تكشف فتيحة كاوة، من خلال تحليلها السوسيولوجي الميداني للتحولات الإنجيلية في الجزائر، أن الظاهرة لا يمكن اختزالها في بُعد عقدي صرف، بل ترتبط بسياقات تاريخية وهوياتية واجتماعية معقدة. فمن جهة أولى، يظهر استدعاء السردية التاريخية حول الجذور المسيحية القديمة لمنطقة القبائل كآلية رمزية تمنح التحول شرعية ثقافية وتخفف من وطأة القطيعة، إذ يُقدَّم الانتقال الديني بوصفه استعادة لماضٍ مُغيَّب أكثر منه خيانة للانتماء الأصل .ومن جهة ثانية، يكشف العمل الميداني عن أبعاد عاطفية واجتماعية واضحة، حيث يمثل الانضمام إلى الجماعة الإنجيلية في بعض الحالات بحثًا عن «عائلة بديلة» تعوض القطيعة الأسرية الناتجة عن التحول، وتوفر احتواءً عاطفيًا وتضامنًا عمليًا .كما تبرز لدى بعض المتحولين حالة من ضعف الارتباط العقدي السابق، إذ كان الانتماء إلى الإسلام ذا طابع ثقافي تقليدي أكثر منه إيمانيًا، ما جعل الانتقال إلى مرجعية دينية أخرى أقل حدة من حيث القطيعة الرمزية. ويضاف إلى ذلك البعد الجندري، حيث ترى بعض النساء في التحول فضاءً لتأكيد الاستقلالية الفردية وإعادة التفاوض حول أدوارهن الاجتماعية، وإن ظل هذا البعد محكومًا بقيود ثقافية قائمة .وفي السياق الأوسع، يرتبط التحول كذلك بإحساس بالتناقض بين الخطاب الديني الإسلامي الذي يؤكد قيم التضامن والعدالة، وبين واقع اجتماعي اتسم، في نظر بعض المتحولين، بالعنف السياسي خلال العشرية السوداء، وبالفساد والصراعات الاجتماعية، الأمر الذي جعل

الخطاب الإنجيلي القائم على الأخوة والمساواة يبدو أكثر انسجامًا مع تطلعاتهم الأخلاقية .كما يتجلى التحول في بعده الشعوري من خلال الجاذبية الوجدانية للطقوس الإنجيلية وأجوائها التضامنية، إلى جانب الدور الوسيط الذي تلعبه صورة «عيسى» في المخيال الإسلامي، بما يسهل الانتقال بين المرجعيتين دون قطيعة كاملة. وبذلك يتضح أن التحول الديني في السياق الجزائري، كما تصوره كاوة، هو نتاج تفاعل بين عوامل هوياتية ورمزية وعاطفية واجتماعية وسياسية، تتداخل ضمن مسار معقد لإعادة تشكيل الذات والانتماء.(Kaoues, 2016, pp.8, 17–20)

وعلاوة على هذه الأبعاد، تبرز عوامل ترتبط – وفق ما تنقله الباحثة بولطيف سليمة (2018، ص 254-257) في سياق عرضها للموقف الرسمي والتقارير ذات الصلة – باستغلال بعض الظروف الاجتماعية والمادية. فقد أشارت إلى تأكيد الدولة الجزائرية أن من بين الأسباب المؤدية إلى اعتناق دين آخر استغلال المشاكل الظرفية التي يمر بها بعض المواطنين، واستخدام وسائل الإغراء باسم حرية ممارسة الشعائر الدينية لاستقطابهم والتشكيك في تمسكهم بالإسلام. كما تورد الدراسة معطيات تفيد بوجود اتهامات بسعي بعض الجهات إلى اجتذاب الشباب المحرومين مقابل متاع مادي أو وعود بالحصول على تأشيرة دخول إلى أوروبا، مع تكثيف توزيع الإنجيل وأشرطة الفيديو الدينية . وتندرج هذه القراءة ضمن تمثلات مؤسساتية للظاهرة تعكس كيفية إدراكها وتأطيرها داخل المجال السياسي والقانوني.

تكشف الدراسات السوسيولوجية والعيادية التي تناولت التحول الديني في الجزائر أن هذه الظاهرة لا يمكن فهمها على أنها مجرد قرار شخصي بتغيير المعتقد، بل هي مسار معقد تتداخل فيه عوامل تاريخية وهوياتية ونفسية واجتماعية. فقد ساهمت آثار المرحلة الاستعمارية، وتداعيات العشرية السوداء، والتحولات القيمية والثقافية المعاصرة، في إعادة طرح أسئلة الهوية والانتماء لدى بعض الأفراد. كما يظهر في بعض الحالات إحساس بوجود فجوة بين الخطاب الديني الرسمي وتجاربهم اليومية، إلى جانب تجارب شخصية اتسمت بالقلق والبحث عن معنى، وهو ما أسهم في بروز مسارات تحول ديني تعكس محاولة لإعادة بناء الذات داخل مجتمع يشهد تحولات عميقة. وبذلك يتعزز الطابع المتعدد المستويات لتفسير الظاهرة في السياق الجزائري.

وبناءً على ما تقدم، يتضح أن التحول الديني في الجزائر ليس مجرد انتقال عقائدي عابر، بل هو ظاهرة سوسيولوجية ونفسية متعددة الأبعاد تتداخل فيها الجوانب النفسية العميقة، والتحولات الهوياتية، والضغوط السياسية والاجتماعية، مما يستوجب قراءة متأنية تتجاوز التفسيرات السطحية.

.

خاتمة:

يتبين من خلال تحليل الدراسات المعروضة أن ظاهرة التحول الديني في الدول الإسلامية تمثل مسارًا معقدًا ومتعدد الأبعاد، يتشكل من تفاعل عوامل نفسية واجتماعية وثقافية وسياسية، تختلف في درجات تأثيرها باختلاف السياقات المحلية. وقد كشفت النماذج المدروسة، سواء في الأرخبيل الماليزي أو في بعض بلدان المشرق والمغرب العربيين، أن التحول الديني لا يرتبط بسبب منفرد، بل يعكس عملية إعادة تشكيل علاقة الفرد بمرجعيته الدينية في ظل تحولات اجتماعية وثقافية عميقة.

وقد برزت في هذه السياقات عوامل مشتركة، من بينها البحث عن معنى وهوية بديلة، وتأثير التحولات القيمية المعاصرة، وضعف قدرة بعض مؤسسات التنشئة الدينية على مواكبة التغيرات الاجتماعية، إضافة إلى أبعاد نفسية واجتماعية تتقاطع مع السياقات الاقتصادية والسياسية.

أما في السياق الجزائري، فقد أظهرت الدراسات أن الظاهرة تتخذ خصوصية مرتبطة بالتاريخ الاستعماري، وتداعيات العشرية السوداء، والتحولات القيمية والاجتماعية المعاصرة، ومن بينها تصاعد النزعة الفردانية في تحديد الاختيارات الدينية، وتراجع السلطة الرمزية لبعض مؤسسات التنشئة التقليدية . كما يتداخل فيها البعد النفسي المرتبط بالبحث عن الأمن والطمأنينة، مع أبعاد هوياتية واجتماعية تعكس محاولة بعض الأفراد إعادة التفاوض مع انتمائهم الديني في بيئة شهدت تحولات عميقة. وبذلك، فإن الحالة الجزائرية تؤكد ما توصلت إليه الدراسة من أن التحول الديني لا يمكن اختزاله في تفسير أحادي، بل يجب قراءته ضمن شبكة معقدة من العوامل الفردية والبنيوية المتداخلة.

ومن ثم، فإن فهم ظاهرة التحول الديني في الدول الإسلامية يقتضي مقاربة تحليلية متعددة المستويات، تنطلق من اعتبار مسارات التحول نتيجة تفاعل الأزمات الفردية وأسئلة المعنى مع التحولات الاجتماعية والثقافية والسياسية التي يعيشها المجتمع. كما تبتعد هذه المقاربة عن التفسيرات التي تختزل الظاهرة في سبب واحد، ملتزمةً بالحياد العلمي والموضوعية في الطرح، مما يفتح المجال أمام دراسات مقارنة وميدانية أعمق في المستقبل.

وفي هذا السياق، تكشف نتائج هذه الدراسة عن خلاصات بالغة الأهمية؛ أبرزها أن التدين في ظل تحولات العولمة المعاصرة لم يعد مجرد إرث وراثي يمتثل له الفرد تماشياً مع جماعته المحلية، بل أضحى مساراً يبنى على الاختيار الذاتي والبحث الشخصي عن المعنى والاستقرار الروحي.

وتكمن القيمة العلمية والمضافة لهذه الدراسة في تقديمها لإطار تحليلي متكامل؛ فهي لا تكتفي بالتركيز على الجوانب النفسية والعيادية للفرد، ولا بالمتغيرات السياسية والمؤسساتية الخارجية، بل تجمع بينهما لتبين كيف تؤثر التحولات المجتمعية الكبرى (كالأزمات التاريخية وتراجع دور المؤسسات التقليدية) على الخيارات النفسية والثقافية للأفراد، وتدفعهم للبحث عن جماعات دينية بديلة تمنحهم الاحتضان العاطفي، مع الاستعانة أحياناً بالتاريخ القديم للمنطقة لتبرير هذا التحول أمام مجتمعاتهم المحافظة.

وفي الختام، تفتح هذه الدراسة آفاقاً لبحوث مستقبلية تتجاوز مجرد سرد الأسباب التقليدية، وتدعو إلى التركيز على المقاربات الميدانية لدراسة التحول الديني في مجتمعاتنا؛ باعتباره ظاهرة اجتماعية واقعية تستحق الفهم والتحليل العلمي الرصين وفق مقتضيات الحياد والموضوعية الأكاديمية.

قائمة المراجع:

1-أملينا بنت أحمد تاج الدين وآخرون. (2019). ظاهرة تغيير الديانة في الأرخبيل الماليزي: الخبرات النفسية والاجتماعية. مجلة الشريعة والقانون بماليزيا، المجلد 07، العدد 02، ديسمبر.

2-أوليفييه روا. (2012). الجهل المقدس: زمن دين بلا ثقافة. ترجمة: صالح الأشمر. لبنان: دار الساقي.

3-بلحاج، منير. (2012). الحق في حرية المعتقد وممارسة الشعائر الدينية. مذكرة ماجستير، جامعة وهران.

4-بولطيف، سليمة. (2018). حرية المعتقد في الجزائر: دراسة تحليلية قانونية على ضوء التطورات الداخلية والضغوطات الخارجية. أطروحة دكتوراه علوم في الحقوق، جامعة باتنة 01.

5- بوصبع، رابح. (2023). الأنثربولوجيا النفسية وحدود اشتغالها بين الممارسات الثقافية والمقاصد الدينية الممكنة . *مجلة أنثروبولوجية الأديان*، جامعة تلمسان، المجلد 19، العدد 1، ص ص. 601-615.

6-ن همور، محمد. (2023). قراءة في كتاب: "الجهل المركب، الدين والتدين، وإشكالية تغيير المعتقد الديني في العالم العربي" لعياد أبلال. مجلة نقد وتنوير، العدد 17، السنة الخامسة، 557–564.

7-جرموني، رشيد. (2020). في سوسيولوجيا التحولات الدينية في العالم: ظاهرة المتحولين الدينيين نموذجًا. متاح على: https://nohoudh-center.com/articles

8-حيدر جواد السهلاني. (2020). التحول الديني عند أوليفييه روا. صحيفة المثقف، العدد 5135، 26 سبتمبر. متاح على: https://www.almothaqaf.com/a/qadaya/949898

9-سعداوي، أسماء، ومخلوف بن تونس، ساجية. (2022). التحول الديني وسمات الشخصية: دراسة حالة على ضوء اختبار منيسوتا للشخصية متعددة الأوجه .(MMPI-2) مجلة دراسات، 31(2)، 759–795.

10-سعداوي، أسماء، ومخلوف بن تونس، ساجية. (2022). التحول الديني والتوظيف النفسي: دراسة عيادية على ضوء اختبار الروشاخ. مجلة المعبر، المجلد 26، العدد 6، 803–812.
11-عنتر، عبد الله. (2024). التحول الديني بالمغرب: مقاربة سوسيو-قانونية Arabic Journal for Translation Studies، المجلد 3، العدد 7، 225–238. DOI: 10.63939/AJTS.wzh9w166.
12-عناية، عز الدين. (2010). نحن والمسيحية في العالم العربي وفي العالم. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.
13-غريمس، وفرحات عماري. (2014). التحول الديني نحو الإسلام عند مراد هوفمان ودلالاته المعرفية. متاح على : https://oulama.dz/2014/08/05
14- نوارة، فاطمة الزهراء؛ بن معمر، بوخضرة. (2022). جدلية الأنا والآخر بين الديني والاجتماعي في المجتمع الجزائري: مقاربة أنثروبولوجية .*مجلة أنثروبولوجية الأديان*، جامعة تلمسان، المجلد 18، العدد 2، ص ص. 28-46.
15-هاني نسيرة. (2009). صدور أول كتاب عربي حول المتحولين دينيًا. الحوار المتمدن، العدد 2759، 04 سبتمبر.

المراجع الأجنبية:

1-Kaoues, F. (2016). *Conversions évangéliques en Algérie* (Rapport d'activité final, Contrat Post-doctoral). Institut des Mondes Africains (IMAF), Laboratoire d'Excellence HASTEC, France.
2-Rambo, L. R. (1993). *Understanding Religious Conversion*. New Haven: Yale University Press.